الرحلة الملكية الاوربية

وثمارها العلمية والعمرانية

لعل كثيراً من الناس لا يعلمون من اسباب تلك الحفاوة البالغة التي قوبل بها صاحب الجلالة الملك فؤاد في اوربا الا انها اسلوب من المجاملات السياسية التي تتجاذبها الامم ويتداولها الملوك. والحق ان الحفاوة التي لقيها ملك مصر في اوربا جاوزت ذلك الحد السياسي بين الامم والملوك. فان مظاهر الاجلال والتكريم التي استفاضت على الاندية العلمية والادبية والاجتماعية والصناعية وما اليها من مواطن المدنية الصالحة ليس مما الفهُ الناس في مجاملاتهم السياسية للملوك الوافدين. ولقد هبط تلك الممالك التي هبطها الملك فؤاد كثير من ملوك اوربا انفسهم فما كان لهم فيها بعض ما كان لهُ من حفاوة سابغة في كل موطن حلَّ بهِ. وليس يعلم اسباب ذلك الا من تيح لهُ شرف مقابلة جلالته وكان لهُ اثر من الآثار الصالحة في اي موطن من مواطن الحياة العاملة. هنالك ينثني زائرهُ وقد رأى من خلال ذلك الجلال تلك النعمة المذخرة التي يستجم بها خاطرهُ وتسكن اليها نفسهُ وذلك العلم النافذ الذي علك عليهِ مشاعرهُ ويحيط بكل غرض من اغراضهِ وكل معنى من معانيهِ. ومما نذكرهُ الآن لقاء تلك المناسبة حديث حدثنا بهِ استاذنا الاكبر الدكتور صروف رحمهُ الله قال:

«ذهبت الى قصر عابدين بعد ان حُدِّد لي الوقت الذي انال فيهِ شرف مقابلة صاحب الجلالة الملك فؤاد، وكان اكبر ظني الا تستنفد تلك المقابلة اكثر من خمس دقائق استمع فيها حديث التشجيع السامي والعطف البالغ على المقتطف، ولكن العلم كم لبثت في حضرته؟ لقد استطال بنا المقام ساعتين كاملتين تناول فيهما جلالتهُ كل غرض ألمَّ بهِ المقتطف، واستفاض فيهِ الى ادق تفاصيلهِ واحدث ما جدَّ فيهِ من تقدم وابتكار. هنالك احسست اني لست في حضرة ملك لهُ من مشاغل الملك وشؤون الرعية ما يملك عليهِ وقتهُ وتفكيرهُ، بل في حضرة عالم ضليع العلم بديع التفكير لم تفتهُ فاتتة من شؤون العلم والادب والاقتصاد والاجتماع»

وذلك الذي رآهُ الدكتور صروف من جلالة ملك مصر هو الذي رآهُ عظماء اوربا وعلماؤها الذين وفدوا الى مصر ونالوا شرف مقابلتهِ

«وانا لمن في شجون الحديث امعاناً بعيداً اذا تكلمنا عن النفحات المالية العظيمة

وضروب العطف والتأييد التي نالها العلماء والروّاد من جلالته . وكثير من الكتب العلمية الذائعة في ارجاء العالم الحديث صدرت بالتنويه بما لجلالة الملك فؤاد عليها من الفضل العظيم في تأليفها واذاعتها

لذلك كله سُبقت رحلة صاحب الجلالة بدعاية واسعة النطاق من علماء اوربا وكتابها الذين يعلمونهُ حق العلم ، ونهضت المجلات التي تصدرها الاندية العلمية تكتب الفصول الطوال في جلال اثر الملك القادم على كل شعبة من شعب الحياة الصالحة

ولقد تنتشي نفس المصري بعاطفة ثمن الفخر والاعجاب حين يستمع لما قالهُ مكاتبو الصحف الانجليزية بعد اجتماعهم بجلالة الملك في مأدبتهم التي أعدوها لهُ . فقد قال بعضهم : انهُ لم يرَ ملكاً من ملوك اوربا اوتي ما اوتيه الملك فؤاد من نفاذ الرأي وسعة الاطلاع . والذين اقتصدوا في الحديث قالوا انهُ فاق كثيراً من ملوك اوربا في الاحاطة بالحياة العالمية والنفاذ الى ادق اسرارها واجمع مظاهرها . ومن قبل ذلك وقف الاستاذ العالم لوروا بوليو Beaulieu في احد المؤتمرات الاقتصادية في السربون فاثنى على منشئي جمعية الاقتصاد والتشريع وصاحب اليد الغراء فيها اذاعتهُ في ارجاء العالم من ابحاث وآراء ثناء اعجاب واحترام . وما كانت تلك الجمعية الا ساحة من سوانح صاحب الجلالة تجمها فكرهُ ورسمت منهاجها يدهُ . كانت اذاً تلك الدعاية القوية اعظم ما جمع القلوب على الاحتفال بجلالة الملك وحفزَ المشاعر الى الالتفاف حولهُ

ولعل من التقصير في حق تلك الرحلة الموفقة ان نقتصر من تناجيها على الاشادة بذكر مصر والتنويه بامرها وتوثيق الصلات بين الشعب المصري وشعوب المدنية الحديثة ، فان جلالة الملك رأى من شؤون الابتكار في الزراعة والصناعة والعلم والآداب ما وصل الى اعماق ذلك كله ، واذا عرفت حب جلالته لان يرى امتهُ في مصاف الامم العظيمة رأيت من تلك الرحلة بادرة نهضة سامية ومقتبل تثقيف حصيف

وسنرى من بكرة تلك النتائج العظيمة هذين المشروعين اللذين اعتزم صاحب الجلالة البدء بهما ، واولهما عقد مجمع علمي عظيم يضم صفوة الناطقين بالضاد من الشرقيين والمستشرقين ليأخذوا يد اللغة العربية الى نهضة مهذبة كتلك التي قام بها العباسيون في مبتكر عهدهم ، وكانت مناط فخر العرب ومشرق عظمتهم ، بل كانت مشرق عظمة العلم ومبعث فجر المدنية الحديثة . ولقد كان انشاء ذلك المجمع امنية ما زالت تخفق بنفوس العلماء منذ عهد اسماعيل العظيم ، بل لقد عملوا على القيام به في آماد مختلفة فلم يوفقوا

لانهم لم يجدوا من الرعاية والتشجيع ما يكفل لعملهم الحياة السامية وابقاء الوطيد . اما الآن وقد اعتزمهُ صاحب الجلالة الملك فؤاد فانا نهنيء العالم بإشراق نور الشرق واتساقه في مجال الحياة الصاعدة والمدنية الحديثة

اما المشروع الثاني فمعرض افريقي عام يقام في مدينة القاهرة ، ولهذا المشروع حديث قديم ، فمنذ ستة عشر عاماً ابتكر صاحب السمو الامير احمد فؤاد (جلالة الملك) مشروع معرض يكشف من القارة الافريقية المحجبة كل ضروب الحياة والعمل والانتاج ليجلو للعلم والتاريخ والاقتصاد في مكان واحد أفضل ما تتفق الاعمار في ابتنائهِ واجتنائهِ ، ويثبت ما للمدنية المصرية في أطوارها المختلفة من خطر البشان وسمو المكان ، وكان يعلم بحق أن معرضاً عالمياً يكشف للناس مظاهر إفريقية ومكانها ، وما تم من ضروب الحياة فيها ، وما يطلبهُ العلم والتاريخ من درسها لا بد أن يكون مثار اهتمام العالم بأسره ، فان هذه القارة التي بدأت المدنية الغربية تشارفها من بعض أطرافها لا تزال مطمح أنظار العالمين لما تحويهِ غياضها وغاباتها ومراتع وحشها وأكنان صدورها من خير مذخور ويسر موفور . وان اتساع مصر لاقامة هذا المعرض لآية ناطقة على جدها الدائب في بلوغ ما تصبو اليهِ من غاية وما تسمو لهُ من منزلة . واي بلد أولى بهذا المعرض من ذلك البلد المتألق في جبين أفريقية والذي اجتمع فيهِ من اشراق الجو واتساق الموقع وطيب المقام ما لم يجتمع لبلد من بلاد افريقية ولا لقطر من أقطار الشرق قاطبة . واذا كان الاوربيون قد أتيح لهم أن يروا في معارضهم جانباً افريقياً يحوي طرائف ما اجتلبوهُ من إفريقية فما كان ذلك الا فكاهة يتفكه برؤيتها الزائرون ، وعلى الرغم من اتساق ذلك الجانب من المعارض الاوربية وحسن روائهِ لم يكن هناك الا أفانين من عجائب افريقية وملهياتها ، وهي تفاريق مختلفة لا تكاد تجمعها جامعة وليس فيها من روح التعميم بين أجزاء الفصيلة الواحدة ما ينقع غلة العالم ويمكنهُ من استحداث رأي صريح وحكم صحيح

ولكن المعرض الذي ابتكر فكرتهُ الامير فؤاد يكشف من إفريقية قديمها وحديثها ، وبدئها ودنيها ، وباديها وحاضرها ، وعامرها وغامرها ، وما اختلف من ضروب حياتها ومدارج مدنها وغلات ارضها وأشتات صناعتها وكل ما يهم العلم والتاجر والصانع من أمرها . ففيهِ تمثل على الخرائط فتوح مصر في إفريقية وما سار تلك الفتوح من رود المواطن وكشفها ، وفيهِ تظهر خطوات المدنية في انشاء المدن ونهج الطرق وما

درج فيه كل ذلك من منازل الرقي في أثنات الزمن . ومما يعرض فيه من وسائل الاتصال قناة السويس ودروج خطاها منذ احتفارها ومدى ما يرجى من تقدمها وغاية ما يصل اليه العلم من امر مستقبلها . وفيه تجد ناس تلك القارة على اختلاف شعوبهم وقبائلهم وملهم ومحلهم وضروب حياتهم ومتشعب عاداتهم ومختلف اعمالهم ونماذج منازلهم ومعايشهم مما يجتلب انظار الجماهير بينما هو يستثير فكر علماء طبائع الامم وتاريخ الانسان ويمكنهم من دراسة مثمرة تنهج لهم سبيل الحكم الحاسم الصحيح . وفي قسم انتشار الماء تعرض انواع السمك في مختلف مواطنه من افريقية ومبلغ ما بذل وما سيبذل من الجهد في تنميته وتربيته واستكثاره وضروب الصناعات الخاصة به . وفي قسم الزراعي يعرض ما تخرج افريقية من حب وثمر ومانهج من السبل لري الارض وضبط الماء واحتفار مجاريه واسلوب تصريفه وما بذل في سبيل تزكية الغراس واصلاح المغارس من جهد وما شرع له من سبيل . اما الحيوانات الافريقية فان لها جانباً واسع النطاق بما يحويه من مختلف نتاجها ونفاسة قيمتها ، فهناك سن الفيل وريش النعام وجلود الحيوان وفراء الوحش واشباه ذلك كثير لاحدّ له . وعلى الرغم من تأخر الصناعات الافريقية فقد يكون قسمهُ الصناعي كثير المرافق موفور النواحي

وهنالك في اظهر جانب واعزّ قسم لآثار مصر التليدة في العهد الفرعوني وآخر لحدثانها في العهد الفاطمي وما يليه من دول المماليك

وكان موعد افتتاح ذلك المعرض الذي يرفع مصر في عيون امم المدنية الحديثة الى أسمى مكان في ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٤ وقد أوذنت بذلك الدول فوافقت عليه واشتركت في لجنة تأسيسه . ولكن الامر في التقدير والله في التدبير . فقد توالت الحوادث الجسام في اوربا حتى أسلمتها الى الحرب العظمى واحتجب الامل وأُجّل المشروع

هذه صورة المعرض الذي حملت الينا الانباء وصاحب الجلالة الملك في اوربا خير عزمه اعزهُ الله على اقامته في القاهرة . واذا كنا في حاجة الى الدعاية لمصر فان ذلك المعرض خير أنواع الدعايات لها لما فيهِ من اظهار ماضيها وحاضرها وأملها العظيم في غدها

اذاً فاننا نستمد تلك الرحلة السعيدة فاتحة عصر جديد في تاريخ مصر الحديثة ونعد هذين المشروعين باكرة خير عظيم ومشرق عهد سعيد يحوطهُ ويظلهُ الملك العادل العالم العطوف الرحيم احمد فؤاد حفظهُ الله وأتم لمصر في عهده خير ما يرجى لها من عز واقبال

« مؤرخ »